ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الأرض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت إليه فإذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت إلى البعير فحكم وجهي برجليه فذهبت عيناي فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد إذهبوا إلى عروة ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه وقيل الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جليلة أما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة .

قال البحتري يسلي محمد بن يوسف على حبسه .

( وما هذه الأيام إلا منازل ... فمن منزل رحب إلى منزل ضنك ) .

( وقد دهمتك الحادثات وإنما ... صفا الذهب إلا بريز قبلك بالسبك ) .

( أما في نبي ا يوسف اسوة ... لمثلك محبوس عن الظلم والإفك ) .

( أقام جميل الصبر في السجن برهة ... فآل به الصبر الجميل إلى الملك ) وقال علي بن الجهم لما حبسه المتوكل .

( قالوا حبست فقلت ليس بضائري ... حبسي وأي مهند لا يغمد ) .

( والشمس لولا أنها محجوبة ... عن ناظريك لما أضاء الفرقد ) .

( والنار في أحجارها مخبوءة ... لا تصطلى إن لم تثرها الأزند ) .

( والحبس ما لم تغشه لدنية ... شنعاء نعم المنزل المتودد ) .

( بيت يجدد للكريم كرامة ... ويزار فيه ولا يزور ويحمد ) .

( لو لم يكن في الحبس إلا أنه ... لا تستذلك بالحجاب الأعبد ) .

( غر الليالي باديات عود ... والمال عارية يعار وينفد ) .

( ولكل حي معقب ولربما ... أجلى لك المكروه عما يحمد ) .

( لا يؤيسنك من تفرج نكبة ... خطب رماك به الزمان الأنكد )